رسالة إلى العلماء والقضاة
من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود

العودة إلى الماضي دليل على التأصيل، ومنطلق لبناء قاعدة راسخة، وهذا الباب جاء ضمن التطور الذي تشهده المجلة والتي تسعى من خلاله لحفظ التراث القضائي

ونحن نورد هنا نموذجاً من الوثيقة المتضمنة:

رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود «الرجل الثاني في الدولة السعودية الأولى» والموجهة إلى العلماء والقضاة في العالم الإسلامي، يدعو من خلالها إلى التوحيد ونبذ الشرك والخرافات والدعوة أيضاً إلى إحياء السلفية.

وجاءت هذه الرسالة المخطوطة في أكثر من ١٦ صفحة، ناقصةٌ في آخرها وغير معروف تاريخ إرسالها، إلا أنها كتبت في عصره وخلال بداية توليه إمارة الدرعية بعد وفاة والده مؤسس الدولة السعودية الأولى.

نماذج نصية من الوثيقة حيث بدأها بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله وسلم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، من عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المغرب والمشرق، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن الله عز شأنه، وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثاً ولا تركنا سدىً، وإنما خلقهم لعبادته فأمرهم بطاعته وحذرهم مخالفته وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة إما في ناره بِعَدْلِهِ أو في جنته بِفَضْلِهِ ورحمته، فقد أخبر عز وجل بذلك في كتابه الذي نزله وعلى لسان كل رسول أرسله كما نطق بذلك في كتابة الآيات القرآنية وأخبرتنا به الأحاديث النبوية قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، فالعبادة التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال مختصة بجلاله وعظمته، فهي العناية المحبوبة له تعالى شأنه والمرضية له، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل، كل قال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وكذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل، والإله الحق هو الله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

ويواصل الإمام في رسالته:

«فالمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالإقبال إليه والاتكال عليه والقيام بحق العبودية لله عز وجل، فإذا مات موحد استشفع الله فيه نبيه، بخلاف من أهمل ذلك وتركه وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله، والالتجاء إلى ذلك الغير مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها طالبا من النبي ﷺ أو غيره راغباً إليه فيها تاركاً ما هو المطلوب المتعين عليه المخلوق لأجله، فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد فصار شقياً بالإرادة الكونية والعاقبة القوية لأن الإرادة الدينية أصل في إيجاد المخلوق والإرادة الكونية أصل فيمن كتبت عليه الشقاوة فلا يسير إلا لها

ولا يعمل إلا بها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فهذه الإرادة الكونية، وهي لا تعارضَ الإرادة الدينية التي هي الأصل في إيجاد المخلوقات مع بقائه مختاراً مدركاً للأشياء، ومن كان هذا وصفه فلا ينالها لأن الله تعالى ليس له شريك في الملك كما أنه ليس له شريك في استحقاق العبادة، بل هو المختص بها ولا تليق إلا بجلاله وعظمته، فلا إله إلا هو وحده لا شريك له، ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد غير إذنه إلا له وحده فلا أحد يشفع عنده إلا بإذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته، ولا سيما إن كانت من غير إذنه، فجعله بفعل ما طلب منه والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر لا يشفع أحد بوجه من الوجوه، ولهذا قال عز من قائل: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ وقال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

واستطرد في رسالته المطولة بقوله:

«الموحِّد من جمع قلبه ولسانه لله مخلصاً له تعالى الألوهية المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستعانة به والتوكل عليه وحضور الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده والموالاة في ذلك والمعاداة فيه، وأمثال هذا ناظر إلى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين المحقين وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ومحبته وموالاته وطاعته، وهذا من تحقيق «لا إله إلا الله» لأن معنى «الإله» عند الأولين ما تألهه القلوب بالمحبة كحب الله والتعظيم والإجلال والخضوع، فالرجاء بها هو مختص من عند الله وذبح النسك له، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فالمحبة التي لله غير المحبة التي مع الله، وقالوا لمن أحبوه كحب الله﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهم ما سَووهم به في الصفات ولا في الذات ولا في الأفعال كما حكاه الله عنهم في الآيات، والشاهد الله بأنه لا إله إلا هو وقائلها نافياً قلبه ولسانه الألوهية عن كل ما سواه من الخلق ومثبت

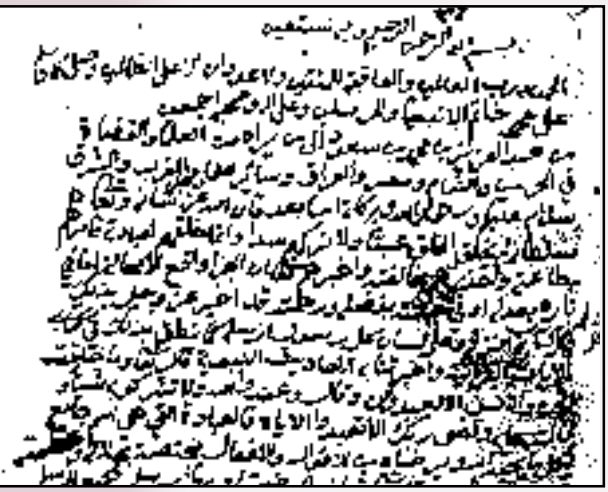

به الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق، فيكون معرضاً عن الألوهية جميع المخلوقات لا يأتيا لهم عمل لا يقدر عليه إلا الله مقبلاً على عبادة رب الأرض والسماوات وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله ومفارقته في ذلك كل ما سواه، فيكون مفرقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادته ومحبته ومعرفته وبين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالماً بالله ذاكراً له عارفاً به وأنه تعالى مباين لخلقه متفرد عنهم بعبادته وأفعاله وصفاته».

فيكون محباً فيه مستعيناً به لا بغيره متوكلاً عليه لا على غيره، وهذا المقام هو المعني في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهي من خصائص الألوهية التي يشهد له بها تعالى عَباده المؤمنين، كما أن رحمته لعبيده وهدايته إياهم وخلقه السموات والأرض وما بينهما ومن فيهما من الآيات من خصوص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر حتى إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقوله: ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وأمثال هذا الخطاب الذي يعرف بأنه ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعم أنه فيما ادعاه وقاله محق وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته.

❖ الوثيقة موجودة في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض